محايل عسير في العصر الحديث

(دراسة تاريخية حضارية مختصرة) (*)

أ. د. غيثان بن علي بن جريس

دراسة منشورة في كتاب : القول المكتوب في تاريخ الجنوب، لغيثان بن جريس (الطبعة الأولى) (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٥ هـ/٢٠١٤م). (الجزء السادس)، ص ص ٢٠٧ – ٢٣٧ . (الطبعة الثانية/ ١٤٤٢ هـ / ٢٠٢٠ م)، ص ص ٢٠٣ – ٢٣٢ .

الصفحة الأولى :

محائل عسير في العصر الحديث

(دراسة تاريخية حضارية مختصرة) :

م	الموضوع	رقم الصفحة
أولاً :	نبذة جغرافية تاريخية	٢٠٨
ثانياً :	صور من الحياة الاجتماعية	٢١٤
ثالثاً:	صور من الحياة الاقتصادية	٢٢٥
رابعاً :	لمحة عن الحياة الثقافية والتعليمية	٣٣١
خامساً:	رأي ووجهة نظر	٣٣٦

محافظة محائل إحدى محافظات منطقة عسير الرئيسة [١] ، ولا نعرف سبب تسميتها (محائل) [٢] ، مع أن هناك بعض الأقوال الدارجة حول هذه التسمية[٣] ، وفي الصفحات

---

(١) محافظات منطقة عسير الرئيسة ، والتي تأتي في التصنيف رقم (١) أو (أ) هي : محافظة محائل في تهامة عسير، ومحافظة خميس مشيط ، ومحافظة ظهران الجنوب ، ومحافظة النماص ، ومحافظة بيشة . وهناك محافظات أخرى عديدة ضمن تصنيف (ب) ، بالإضافة إلى عشرات المراكز . للمزيد انظر تقارير وكتب عديدة من إصدارات إمارة منطقة عسير .

(٢) لقد بحثت في معاجم اللغة العربية الرئيسة مثل: معجم لسان العرب ، ومعجم القاموس المحيط ، ومعجم تاج العروس ولم أجد ذكراً لاسم (محائل).

(٣) بعض الأقوال تذكر نسبتها إلى رجل يسمى محائل ، مع أنها كانت تعرف سابقاً بـــ (قرن المخيضر). وهناك قصيدة طويلة يتداولها الأوائل حول تهامة عسير مثل محائل وما جاورها ومن تلك القصيدة القول: لابد ياقرن المخيضر تسمى محائل ، ولابد من عصبة خالدية ، تجر القنا كيد لمن كان كايد . أنظر: حمد الجاسر . المعجم الجغرافي للبلاد السعودية (الرياض: منشورات دار اليمامة . د.ت) ص١١٤٣ ، عبد الله موسى الطاير . مدينة محائل عروس تهامة (د.ن: ١٤١٠هـــ) ص٢٢ . يوسف محمد عبد الله فلقي وآخرون . محائل عسير (دراسة لغوية أثرية مختصرة في القرن (١٤هـــ/٢٠م). بحث تاريخي غير منشور لنيل درجة البكالوريوس ، كلية التربية ـــ جامعة الملك سعود ـــ فرع أبها ١٤١٨ـــ١٤١٩هـــ). نسخة من هذا البحث ضمن مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية . (بحوث ودراسات غير منشورة) ، رقم (١٨٨) ، ص٢ وما بعدها .

التالية سوف ندرس العديد من المحاور التاريخية الحضارية الحديثة لهذه المحافظة العسيرية التهامية[١].

أولاً : نبذة جغرافية تاريخية :

١ـ الوضع الجغرافي :

تقع محائل إلى الشمال الغربي من مدينة أبها[٢] ، وعلى بعد (٨٥) كيلاً منها . ويحدها من الشمال محافظتي بارق والمجاردة ، ومن الجنوب محافظة رجال ألمع ، ومن الشرق بعض أجزاء حاضرة أبها مثل بلاد السودة وما جاورها ، ومن الغرب محافظتي البرك والدرب [٣]. وتتنوع تضاريسها ما بين السهل والهضاب والجبال ، ومن أهم جبالها: جبل شصعة وسط مدينة محائل ، وجبل المقيصرة في غرب المدينة ، وجبل الحيلة البركاني في جنوبها [٤] . ومن أوديتها ، وادي حلي الذي تأتي فروعه من سروات عسير مروراً بمحافظة محائل ، ثم محافظة القنفذة حتى يصب في البحر الأحمر[٥]، ووادي تيه الذي تأتي منابعه من سروات حاضرة أبها ، ووادي مسدة ودلوه الأول في شمال شرق مدينة محائل ، والثاني في شمالها [٦] .

---

(١) عدد محافظات قمامة عسير في الوقت الحاضر خمس هي : محائل ، ورجال ألمع ، وبارق ، والمجاردة ، والبرك . وحتى عام (١٤٢٠هـ /١٩٩٠م) كانت البرك مركزاً وتتبع إدارياً لإمارة مكة المكرمة ، ومنذ عام (١٤٣٢ـ١٤٣٣هـ/٢٠١١ـ٢٠١٢م) أصبحت محافظة فتة (ب). المصدر: مشاهدات الباحث في قمامة خلال السنوات الماضية المتأخرة .

(٢) مشاهدات الباحث في شهري جمادى الآخرة ورجب عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٣م) . للمزيد انظر: غيثان بن جريس . أبها حاضرة عسير (الرياض : مطابع الفرزدق ، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م) ، ص١٩ وما بعدها .

(٣) المرجع نفسه .

(٤) المصدر نفسه ، انظر أيضاً عبد العزيز إبراهيم الزهراني . محائل عسير (دراسة تاريخية مختصرة للصناعات التقليدية والحرف اليدوية . بحث تاريخي غير منشور لنيل درجة البكالوريوس ـ كلية التربية ـ جامعة الملك سعود ـ فرع أبها (١٤١٩هـ /١٩٩٩م) . نسخة من هذا البحث في مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية (بحوث ودراسات غير منشورة) . رقم (٢٢٣) ، ص٧ـ١٠ .

(٥) للمزيد عن وادي حلي وغيره من الأودية التي تجتاز محافظتي محائل والقنفذة . انظر عبد الرحمن صادق الشريف. جغرافية المملكة العربية السعودية (الرياض: دار المريخ ، ١٤٠٤هـ /١٩٨٤م) ، ج٢ ، ١٨٥، ٢٢٦، ٢٥٢، غيثان بن جريس، بلاد القنفذة خلال خمسة قرون (ق١٠ـ١٥هـ/ ق ١٦ ـ ٢١م) (الرياض: مطابع الحميضي ، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م) ، ص ٣٢ وما بعدها .

(٦) مشاهدات الباحث في عام (١٤٣٤هـ/٢٠١٣م) .

ومناخ محائل حار صيفاً ، معتدل شتاءً ، وتسقط عليه الأمطار في أوقات متفاوتة وبخاصة في فصلي الخريف والصيف ، وتجتاح محافظة محائل بل عموم منطقة تهامة عسير وجازان وما جاورها عواصف رملية تعرف عند سكان البلاد بـــ (الغبرة) وغالباً تكون في فصل الصيف وذلك بسبب التيارات البحرية التي تأتي من المحيط الأطلسي حتى البحر الأحمر [١].

ويتكون مجتمع محافظة محائل من عدد من القبائل الرئيسة ، مثل : آل موسى ، والريش، وبني ثوعه ، وآل عاصم ، والمنجحة ، وولد أسلم ، والطحاحين ، وبعض العشاير الأسمرية والأحمرية في الأجزاء الشمالية والشرقية من محافظة محائل وغيرها[٢].

ويوجد في أرض محائل الكثير من الأشجار والنباتات مثل: السدر ، والأراك ، والأثل ، والأثَب ، والسمر ، والمظ ، والعدن ، والبشام ، والعتم ، والغلف ، والسلم ، والسلع ، والمقر ، والعبب ، والحدق ، والسيال ، والعرفج وغيرها من الأزهار والحشائش والنباتات المتفاوتة في أحجامها وأعمارها [٣]، كما عرفت البيئة المحائلية العديد من الحيوانات والطيور والحشرات مثل: القطط ، والثعالب ، والنمور الجبلية ، والأرانب ، والقرود ، والسحالي ، والطيور المختلفة مثل: الهدهد ، والنسور ، والصقور ، والحدأة. ويوجد بها أيضاً

---

(١) للمزيد انظر ، إبراهيم محمد الخولي وآخرون . محافظة محائل عسير (دراسة تاريخية حضارية خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) . بحث تاريخي غير منشور لنيل درجة البكالوريوس ، قسم التاريخ ، كلية التربية ، جامعة الملك سعود ــ فرع أبها (١٤١٧هـ/١٩٩٧م) . نسخة من هذا البحث ضمن مكتبة د. غيثان ابن جريس العلمية (بحوث ودراسات غير منشورة) . رقم (١٦٩) ، ص ١٠ــ١١ .

(٢) للمزيد من التفصيلات عن التركيبة السكانية في محافظة محائل انظر: يوسف فلقي وآخرون ، ص٢ــ٤ ، عبد العزيز الزهراني وآخرون ، ص١١ ، إبراهيم الخولي وآخرون ، ص٢ــ٤ ، إبراهيم عسيري ، إمكانيات تطوير القطاع السياحي في محائل عسير ، بحث جغرافي غير منشور ، كلية التربية ــ جامعة الملك سعود ــ فرع أبها (١٤١٦هـ) ص٣٤ ، ٣٥ ، محمود شاكر ، عسير (دمشق : المكتب الإسلامي ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م) ص ٢٠ ، ٢١ .

(٣) منطقة تهامة والسراة مليئة بالنباتات المتنوعة ، والمسؤولية الكبرى على الأقسام العلمية في جامعات الجنوب (الباحة ، وجازان ، ونجران ، والملك خالد) فالواجب عليها تشجيع أعضاء هيئة التدريس فيها على دراسة أزهار وأشجار ونباتات هذه البلاد الغنية بغطائها النباتي .

العديد من الحيوانات والطيور الأليفة مثل : الجمال ، والأبقار ، والضأن ، والماعز، والدجاج ، والبط ، والحمام وغيرها[١].

٢ـ الوضع السياسي :

إذا تأملنا في التاريخ السياسي لبلاد تهامة والسراة ، ومحائل إحدى حواضر تهامة ، نجد غموضاً كبيراً في تاريخ هذه البلاد خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة ، وذلك لأسباب عديدة منها :

أ ـــ صمت المصادر الإسلامية الرئيسة عن ذكر تاريخ هذه الأوطان ، وإن كان هناك بعض الشذرات المختصرة في بعض الجوانب السياسية أو الحضارية[٢].

ب ـــ بلاد محائل وما جاورها من بلدان تهامة الداخلية مجهولة تماماً وبخاصة في المصادر التاريخية المبكرة ، مع أنها بلاد مأهولة بالسكان ، وتتوفر فيها جميع مقومات الحياة [٣] ،كما أن القبيلة كانت صاحبة الحل والعقد في مواطنها[٤].

---

(١) دراسة الحياة النباتية والحيوانية في منطقة تهامة بشكل عام موضوع هام وجدير بالبحث والدراسة العلمية الأكاديمية ، والذاهب اليوم في محافظة محائل وما جاورها يجد معظم هذه الحيوانات هاجرت أو انقرضت مقارنة بالماضي ، والسبب يعود إلى التنمية الحضارية التي تمر بها المنطقة ، فالغالبية من الناس تركوا حياة الرعي والصيد وتربية الماشية ، إلى جانب أن الكهرباء والآلة الصناعية دفعت الكثير من هذه الحيوانات والطيور للهجرة إلى أماكن بعيدة أكثر هدوءاً واستقراراً .

(٢) نجد بعض كتب الجغرافيا والرحلات والأدب واللغة ، وأحياناً بعض المصادر الحجازية واليمنية خلال القرون الإسلامية الوسيطة تذكر معلومات قليلة جداً وأحياناً مختصرة عن بعض البلدان والأقوام في بلاد تهامة والسراة. للمزيد انظر غيثان بن جريس. دراسات في تاريخ تهامة والسراة (ق١ـــق١٠هـــ/ ق٧ـــق١٦م) . جزءان

(٣) جولات الباحث في بلاد محائل وما جاورها من البلدان ، ووقوفه على بعض المعالم التاريخية والحضارية في هذه النواحي تؤكد قدم الاستيطان البشري في هذه البلاد . كما أن معظم سكان هذه الديار كانوا من قديم الزمان على صلات اجتماعية وسياسية واقتصادية مع سكان سواحل البحر الأحمر وسكان السروات الممتدة من أبها إلى الطائف .

(٤) كانت قبائل بلاد تهامة والسراة منذ عصور ما قبل الإسلام حتى النصف الثاني من القرن (١٤هـــ/٢٠م) هي صاحبة القرار والهيمنة في أوطانها ، حتى وإن ظهرت إمارات أو قوى سياسية في الحجاز أو جازان أو عسير خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة إلا أن هيمنتها على أرض السروات وتهامة كانت صورية . ونجد الهمداني ، والمقدسي ، وناصر خسرو ، وابن المجاور يشيرون إلى ذلك بشكل واضح وصريح ، كما أن الوثائق التاريخية الحديثة منذ القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) تشير بشكل واضح إلى سيطرة القبائل على جميع نواحي الحياة في بلادها والذاهب في أوطان البلاد الواقعة عند سفوح السروات من الغرب مثل: محائل ، والمجاردة ، ورجال ألمع وغيرها يلحظ أنها عاشت في عزلة كبيرة خلال القرون الإسلامية المختلفة . وبعدها عن الطرق التجارية الرئيسة ، وصعوبة تضاريسها كانت أيضاً من الأسباب الرئيسة في عزلتها .

وفي العصر الحديث نجد حواضر تهامة كمحائل وغيرها ترد بشكل أوسع في المصادر والوثائق التاريخية ، ولمعرفة ثقل بلاد محائل السياسي والتاريخي فلابد من الإشارة في نقاط رئيسة إلى الحياة السياسية العامة التي عاشتها بلاد تهامة والسراة منذ القرن (١٠هـ/١٦م) إلى وقتنا الحالي:

١ـ التاريخ السياسي العام من القرن العاشر إلى الثاني عشر الهجري (١٦ـ١٨م) غير واضح ، فلا نجد مصادر موثوقة تدون تاريخ هذه الأوطان السروية والتهامية ، حتى وإن ظهرت بعض الكتب أو الروايات والأقوال التي تشير إلى أحداث تاريخية حضارية هنا وهناك . ومن المؤكد كما ذكرنا سابقاً أن القبيلة كانت الآمرة الناهية في أوطانها[١].

٢ـ من بداية القرن (١٣هـ /١٩م) إلى عصرنا الحالي نجد قوى سياسية عديدة صالت وجالت في الجزيرة العربية وامتد نفوذها إلى حواضر تهامة الداخلية مثل: درب بني شعبة ، ورجال ألمع ، ومحائل ، والمجاردة وغيرها . وتلك الإمارات أو الحكومات السياسية على النحو التالي :

أ ـ الدولة السعودية الأولى (١١٥٧ـ١٢٣٣هـ/١٧٤٤ـ١٨١٧م) مدت نفوذها على جميع أجزاء الجزيرة العربية ، وكانت إمارة آل المتحمي في عسير(١٢١٥ـ١٢٣٣هـ /١٨٠٠ ـ ١٨١٧م) معينة من قبل حكام آل سعود الأوائل لإدارة دفة الحكم في معظم مناطق تهامة والسراة الممتدة من جنوبي مكة المكرمة إلى جازان ومن الطائف إلى نجران[٢].

---

(١) خلال الفترة (ق١٠ـ١٢هـ / ١٦ـ١٨م) كان هناك حكومات سياسية في اليمن والحجاز ، بل هناك أساطيل وقوى سياسية في البحر الأحمر مثل العثمانيون والبرتغاليون وقوى أوربية أخرى ، وقد ورد ذكرهم بشكل لا بأس به في حواضر وموانئ الجزيرة العربية الكبرى ، أما المناطق الداخلية مثل: بلاد محائل وغيرها فلم يكن لها ذكر واضح أو ملموس . للمزيد اطلع على المراجع والوثائق التي تعرضت لتاريخ الحجاز واليمن والعثمانيين وبعض القوى الأوربية خلال القرون الأربعة الماضية (ق١٠ـ ١٤هـ/ ق١٦ـ٢٠م) .

(٢) إبراهيم بن علي الحفظي . تاريخ عسير . تحقيق وتعليق محمد بن مسلط البشري (الناشر ومكان النشر بدون ، ١٤١٣هـ) ص ٥٦ وما بعدها .

ب ــ ظهرت إمارة آل عائض بعد المتاحمة في عسير (١٢٤٩ــ١٢٨٩هـ/ ١٨٣٣ ــ ١٨٧٢م) فساست البلاد ردحاً من الزمن [١]، ثم جاء العثمانيون فأنشأوا إدارة لهم في أبها ، أطلقوا عليها متصرفية عسير وحكموا معظم جنوبي البلاد السعودية حوالي خمسة عقود (١٢٨٩ــ١٣٣٧هـ/١٨٧٢ــ١٩١٨م) [٢].

ج ــ قامت إمارة الإدريسي في صبيا في النصف الأول من القرن (١٤هـ/٢٠م) ، ومدت نفوذها على نواح عديدة في منطقتي جازان وتهامة عسير ، وجرى بينهما وبين العثمانيين العديد من الحروب والصراعات السياسية والحربية[٣].

د ــ ظهرت الدولة السعودية الحديثة في عهد الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، ومدت نفوذها إلى الباحة والقنفذة وعسير وجازان خلال الثلاثينيات والأربعينيات من القرن (١٤هـ/ ٢٠م) [٤].

ومن خلال هذا السرد الموجز نجد أن محائل عسير كانت حاضرة في المشهد السياسي. ففي عصر إمارة المتاحمة كانت تابعة لتلك الحكومة سياسياً وإدارياً ، فيولي عليها من يسوس أمورها ، وكانت أحياناً تتخذ قاعدة عسكرية تنطلق منها جيوش المتاحمة لمحاربة

---

(١) علي أحمد عسيري . عسير (١٢٤٩هـ/١٨٣٣م ــ ١٢٨٩هـ/١٨٧٢م) (أبها : نادي أبها الأدبي ، ١٤٠٧هـ/١٩٧٨م) ، ص ٦٩ وما بعدها .

(٢) غيثان بن علي بن جريس. صفحات من تاريخ عسير.(الرياض: مطابع العبيكان ، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م). ج١ +٢ ، ص ٩١ــ ١٢٠ ، ٢٣٥ ــ ٢٧٤ .

(٣) أميرة علي المداح . المخلاف السليماني تحت حكم الأدارسة . رسالة دكتوراه ــ جامعة أم القرى ــ كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، قسم التاريخ (١٤٠٦هـ/١٩٨٥م) ، ص٢٤ وما بعدها ، يوسف حسن العارف. أضواء على مذكرات سليمان شفيق باشا(متصرف عسير(١٣٢٦ــ١٣٣٠هـ/ ١٩٠٨ــ١٩١٢م) (أبها : نادي أبها الأدبي ، ١٤١١هـ ــ ١٩٩٠م) ، ص ٥٣ وما بعدها .

(٤) للمزيد عن تاريخ جنوبي البلاد السعودية في القرن (١٤هـ/٢٠م) وبخاصة في عهد الدولة السعودية الحالية . انظر تركي الماضي ، من مذكرات تركي بن محمد بن تركي الماضي عن العلاقات السعودية اليمنية (١٣٤٢ــ١٣٧١هـ/ ١٩٢٤ــ١٩٥٤م) .(الرياض: دار الشبل ، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م) ، ص٣٣ وما بعدها ، غيثان بن جريس . عسير في عصر الملك عبد العزيز (جدة : دار البلاد للطباعة والنشر ، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م)، ص٢٧ وما بعدها .

أعدائهم في تهامة أو من يغزون بلادهم من قبل الحجاز أو ساحل البحر الأحمر[١]،واستمرت أهمية محائل العسكرية والسياسية أيضاً أثناء حكومة آل عائض ، بل كانت من القواعد الرئيسة في عهدي الأميرين عائض بن مرعي وابنه محمد بن عائض (١٢٤٩ــ١٢٨٩هـ/ ١٨٣٣ــ١٨٧٢م)[٢].

وفي عهد المتصرفية العثمانية في عسير ، نجد بلدة محائل ذات موقع استراتيجي يربط بين موانئ البحر الأحمر مثل القنفذة والبرك وبين سروات عسير وبعض القرى والبلدات التهامية الداخلية ، ثم إن ظهور الأدارسة في صبيا واتساع نفوذهم في تهامة حتى وصلوا إلى البرك ومحائل والمجاردة وغيرها جعل التنافس السياسي والحربي بين الإمارة الإدريسية والعثمانيين يشتد ، كما أن الأشراف من الحجاز دخلوا في حلبة الصراع مع الطرفين وكانت أرض محائل مسرحاً لعدد من الصدامات العسكرية بين تلك القوى السياسية [٣].

وجاء العهد السعودي الحديث فدخلت جميع مناطق جنوبي البلاد السعودية تحت لواء ابن سعود ، وصارت محائل وما جاورها تستمد القرارات والأوامر الإدارية والسياسية والمالية من مدينة أبها التي كان يتولى إدارتها أمير معين من الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن آل

---

(١)هناك مصادر ووثائق عديدة بعضها منشور ومعظمها غير منشور تؤكد على الدور السياسي والعسكري الذي لعبته بلدة محائل في عهد إمارة المتاحة . ونأمل أن نرى أحد طلابنا في برنامج الماجستير أو الدكتوراه فيتخذ من بلدتي محائل أو رجال ألمع موضوعاً لأطروحته ، ومن يفعل ذلك فسوف يضيف للمكتبة العربية عملاً علمياً جديداً .

(٢)هناك بعض الدراسات المنشورة عن إمارة آل عائض . لكن منطقة تهامة مثل بلاد محائل وما جاورها جديرة إلى أن يفرد لها دراسة سياسية وحضارية في عصر الإمارة العائضية . انظر أحمد عسيري ، عسير ، ص١٢٣ وما بعدها .

(٣)أميرة المدح ، المخلاف السليماني ، ص ٣٠ وما بعدها . تهامة عسير ، وجبال جازان ، وتهامة الباحة موضوعات مهمة وجديرة بالبحث والدراسة في عهد النفوذ العثماني في جنوب الجزيرة العربية ، وفي عهد إمارة الأدارسة . نأمل أن نرى من طالباتنا أو طلابنا في برامج درجتي الماجستير والدكتوراه في جامعة الملك خالد من يتول مثل هذه الموضوعات الجديدة في عناوينها وتفصيلاتها .

الفيصل[١]. ودخلت هذه البلاد الجنوبية مرحلة الضبط الإداري المالي والتطور الحضاري حتى صرنا نشاهد جميع مدن عسير مثل محائل وغيرها ، ومدن الباحة ، وجازان، ونجران تنعم بالرفاهية والتقدم والازدهار[٢].

صور من الحياة الاجتماعية :

١ـ طبقات المجتمع :

محافظة محائل مسكونة منذ القدم بالعديد من القبائل والعشائر والفخوذ العربية، وكان ولا يزال العنصر العربي هو عماد المجتمع المحائلي [٣]، وكون هذه البلاد تقع على مقربة من سفوح السروات ، والخبت والساحل التهامي فقد وفد إليها أيضاً بعض العناصر العربية القاطنة أصلاً في تلك النواحي السروية والتهامية [٤]، كما استوطنها بعض العناصر غير العربية

---

(١) للمزيد عن تاريخ عسير في العصر السعودي الحديث ، وكيف أصبحت أبها هي الحاضرة الرئيسة للمنطقة العسيرية ، انظر غيثان بن جريس . أبها حاضرة عسير دراسة وثائقية (١٤١٧هـ/١٩٩٧م) ، ص ١٨ وما بعدها .

(٢) تاريخ جنوبي البلاد السعودية منذ الخمسينيات في القرن الهجري الماضي حتى وقتنا الحاضر موضوع مهم وكبير ويستحق أن يصدر عنه عشرات بل مئات المجلدات التاريخية والحضارية ، وإذا نظرنا في ميادين التمدن والتنمية التي طرأت على هذه النواحي في القرن (١٥هـ/٢٠ـ٢١م) فهو أيضاً مجال خصب لمئات البحوث والدراسات ، ونأمل من جامعات الجنوب (الملك خالد ، والباحة ، ونجران ، وجازان) أن تولي هذه الموضوعات اهتماماً كبيراً في كلياتها ومراكزها البحثية .

(٣) من خلال تجوالنا في بلاد محائل وجدنا جل سكانها عرب ، ولا تخلو من عناصر غير عربية جاءوا إلى هذه البلاد منذ قرون أو عقود عديدة وأصبحوا مواطنون سعوديون ، وفي الأربعين سنة الأخيرة وصل إلى هذه البلاد عناصر غير عربية للعمل في مهن عديدة مثل: الباكستانيين ، والهنود ، والبنجاليين ، والفلبينيين وغيرهم . وإقامة هؤلاء مؤقتة لأنهم جاؤوا من خلال عقود عمل مع الدولة أو مع بعض الشركات والمؤسسات الأهلية .

(٤) يعيش اليوم في محائل عناصر عربية من قبائل سروية وتهامية متعددة ، وبعضهم استوطن منطقة محائل وأصبحوا من سكانها ، وآخرون لازالوا على صلات بقبائلهم وعشائرهم الرئيسة في سروات عسير أو الباحة أو في بلاد جازان أو الليث أو الحجاز وغيرها .

وبخاصة الوافدين من إفريقيا إلى الجزيرة العربية عبر عصور التاريخ[١]، وقد وصلت إليها بعض العناصر الهندية ، وذكرت بعض المصادر والوثائق إلى أن بعض التجار والحجاج الهنود الذين كانوا ينزلون في ميناء عدن ثم يسيرون على الأقدام عبر تهامة حتى يصلوا إلى أرض الحرمين[٢].

٢ـ العمارة بأنواعها:

عرفت منطقة محائل المنازل المبنية بالحجارة ، أو الحجارة والطين . كما انتشرت فيها قديماً بيوتاً من القش والأشجار. ونجد وثائق القرنين (١٣ــ١٤هـ/١٩ــ٢٠م) تذكر مواد البناء ، وطريقة جلبها وأحياناً أسعارها ، وأهل البلاد هم الذين يشيدون منازلهم ، فيوجد بينهم مهنيون يعرفون بـــ (البناءة) وهم الذين يبنون المنازل الحجرية، أما منازل الأخشاب والأشجار فهي أسهل في موادها وعمارتها ، ويتعاون الناس (نساءً ورجالاً) في عمارة منازلهم[٣]. ويغلب على المنازل قديماً البساطة في مواد بنائها ، ومساحتها ، ومرافقها ، وأثاثها ، إلا أن بعض التجار المقتدرين كانوا أحسن حالاً من غيرهم في حجم منازلهم ومستوى تزويقها وتأثيثها [٤].

وهناك أبنية أخرى مثل: مرافق المنازل كالأحواش ، وأحياناً عشش من الأشجار تستخدم لسكنى البهائم[٥]، وبعض الحصون والقلاع المتناثرة في بعض هضاب وجبال ووهاد محائل وكانت تستخدم في الحروب أو حراسة بعض المزارع أو

---

(١) من يتجول اليوم في عموم منطقة تهامة من مكة المكرمة إلى عدن يجد هناك عناصر إفريقية عديدة تعيش في هذه البلاد ، وأصبحوا مثل سكان البلاد الأصليين في جميع الحقوق والواجبات .

(٢) هذا ما تم الاطلاع عليه في عدد من كتب الرحلات ، وبعض المصادر الهندية والحجازية واليمنية . بل وجدنا ذلك مدوناً في بعض الوثائق غير المنشورة في الهند ومدن الحجاز واليمن الرئيسة ، ولا نستبعد أن بعض أولئك الهنود قد استقروا في هذه الأجزاء التهامية الممتدة من اليمن إلى الحجاز .

(٣) للمزيد عن الأبنية في منطقة عسير تهامة وسراة انظر: غيثان بن جريس . عسير : دراسة تاريخية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية (١١٠٠ــ١٤٠٠هـ/١٩٨٨ ــ ١٩٨٠م) (جدة : دار البلاد للطباعة والنشر ، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م) ، هي ٣٥ وما بعدها . للمزيد انظر: إبراهيم الخولي وآخرون ، ص ٣٠ وما بعدها ، يوسف فلقي وآخرون ، ص ٢٩ وما بعدها .

(٤) المراجع نفسها .

(٥) المراجع نفسها .

القرى [١] ، كما يوجد أبنية خاصة بالأسواق ، والمساجد ، والأحمية في بعض الجبال والأودية ، والآبار ، والمقابر ، وأحياناً بعض الكهوف في بعض جبال المنطقة المحائلية ، ومعظم هذه الأنواع لازالت آثارها بارزة في قرى وأرياف منطقة محائل وما جاورها من البلدان التهامية [٢].

٣. الأطعمة والأشربة :

أطعمة وأشربة منطقة محائل القديمة محلية الصنع ، كما عرف المحائليون بعض الأشربة والأطعمة التي كانت تصلهم من حواضر اليمن وجازان ، أو من مدن الحجاز وموانئ البحر الأحمر القريبة مثل: القنفذة ، والبرك ، والقحمة ، والشقيق[٣]. ومن الأطعمة القديمة الحنيذ ، والقديد ، والمشخوث[٤]، والقصيف ، والمعصوبة (العصيدة) ، والثريث ، والثريد ، والحوت المجفف ، والدكيكة ، والمشبك المضروب والزنبطية ، والجريشة (الجشيشة) ، واللحوم ، والمفتوت ، والمفحس ، والمرسة ، والمعصوب ، والخمير، والحميس (المحشوش ــ القورمة) ، والمطحوح أو المبثوث ، والمرزوم ، والمخموعة[٥].ومن

---

(١) شاهدنا العديد من القرى القديمة المهجورة المتناثرة في منطقة محائل ، وبعضها لازال في وضع لا بأس به ، وأغلبها طغى عليها الخراب والاندثار ، وهذه مشكلة كبيرة طرأت على جميع حواضر وقرى جنوب البلاد السعودية ، والهيئة العليا للسياحة والإمارات والمحافظات والجامعات عليها مسؤوليات عظمى تجاه صيانة وحفظ هذا التراث الحضاري الذي عاشته الأجيال السابقة .

(٢) نأمل أن نرى إمارة منطقة عسير ، ومحافظة محائل ، وفرع جامعة الملك خالد في تهامة تعمل بجد واجتهاد لصيانة بعض الأبنية التي لازالت متماسكة ، وبذل بعض الجهود من هذه المؤسسات قد يسهم في حفظ هذا التراث من الخراب والدمار.

(٣) هذا ما تم الاطلاع عليه في بعض المصادر والوثائق التي أشارت إلى تاريخ جنوب الجزيرة العربية خلال القرنين (١٣ــ١٤هـ /١٩ــ٢٠م) .

(٤) تعرف باسم (المشغوثة) عند بعض سكان الأجزاء السروية .

(٥) جميع هذه الأطعمة وغيرها في أجزاء عديدة من منطقة تهامة ، وقد عرفها المحائليون قديماً ولازال الكثير منها يطهي في بعض بيوت ومطاعم الديار المحائلية حتى الآن .

الأشربة : القهوة ، والشاي ، والسمن ، وزيت السمسم ، والحليب ، واللبن ، والقهوة الحلوة ، والعسل ، ومرق اللحم [١] .

وللطعام والشراب آداب جميلة عند المحائلين قديماً ، فالتعاون والألفة والاجتماع أثناء تناول الطام من أهم الصفات التي كان يعيشها الناس . كما أن الإيثار والكرم في استقبال الضيف وإكرامه من العادات المعروفة عندهم . وتبادل الأطعمة وتهاديها بين الأسر في القرية الواحدة ، وفي المواسم الاجتماعية الرئيسة مثل: العيدين، والزواج ، والمآتم، والختان ، ورمضان كانت عادات محببة يمارسها الناس في مدن وقرى تهامة عسير وما جاورها[٢] .

٤ـ الألبسة والزينة :

ألبسة الرجال في محائل من المصنف ، وهو قماش قطني به خطوط عديدة وأطرافه ملونة وغالباً يلف على الوزرة الرخيصة في ثمنها وجودتها [٣] . ويغطي بعض الرجال والشباب رؤوسهم بالمظلة أو مايعرف بـــ (الطفشة) المصنوعة من الخصف أو الطفي . والرجال وبخاصة في البادية والأرياف يربون شعورهم ثم يضفرونها وتترك مكشوفة ، ويسمونها (الجمة) وأحياناً يعصبون شعورهم بعصائب من الأشجار والرياحين والنباتات ذات الروائح العطرية [٤] .

وتتكون ألبسة النساء من القميص والوزرة ، وأغلب النساء يلبسن على رؤوسهن لباس أسود يسمى (القطاعة) ، ولهذا اللباس أسماء عديدة مثل: قطاعة نجران ، أو قطاعة طبيعي

---

(١) كانت كل الأطعمة والأشربة السابق ذكرها عماد حياة السكان قديماً ، ومنذ ثلاثة عقود تقريباً استورد الناس عشرات الأطعمة والأشربة المصنعة في مواطن عديدة داخل الجزيرة العربية وخارجها . والمشاهد للأسواق والمطاعم والولائم في يومنا الحاضر فإنه يرى عشرات الأنواع من الأشربة والأطعمة الحديثة والمختلفة في طريقة طهيها وموادها والقائمين على صنعها بخلاف ما كان عليه الأوائل . وعنوان الطعام والشراب في تهامة عسير ، أو جازان أو القنفذة خلال القرن (١٣هـ/١٩م) أو (١٤هـ/٢٠م) موضوع جديد ويستحق أن يكون عنواناً لرسالة ماجستير أو دكتوراه .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) للمزيد انظر ابن جريس ، عسير (١١٠٠ــ ١٤٠٠هـ) ، ص ٦٩ ، محمد عمر رفيع . في ربوع عسير ــ (١٣٧٣هـ/١٩٥٤م) ص ١٠١ ، إبراهيم الخولي وآخرون ، ص٤٤ .

(٤) المراجع نفسها . وهذه العادة لازالت تمارس عند بعض الرجال في تهامة عسير وقحطان وشهران . المصدر : مشاهدات الباحث خلال السنوات الماضية (١٤٢٠ــ١٤٣٤هـ/١٩٩٠ــ٢٠١٣م) .

أو ساري ، وهناك نساء يلبسن الثياب الفضفاضة واسعة الأردان ، ويضعن على رؤوسهن مظلات من الخوص[١] .

والزينة تختلف من مجتمع النساء إلى الرجال . فالنساء يجتهدن في زراعة الأشجار العطرية داخل منازلهن ، ويقمن بعمل عقود من الورد والياسمين ، ثم يضعونها حول أعناقهن وأعناق بناتهن . ويستعملن الحناء ، ويتفنن في نقشه على أيديهن وأرجلهن ، ويستخدمن العطور المستخلصة من النباتات العطرية المحلية مثل: عطر الورد والياسمين والكادي . ويتزين بالكحل في عيونهن ، ويلبسن بعض الحلي في أعناقهن وأرجلهن وأيديهن [٢] .

ويستخدم الرجال الكحل ، وبعضهم ، بخاصة كبار السن، يفضلون استخدام الحناء في شعور رؤوسهم ولحاهم ، وأحياناً أيديهم وأرجلهم . ويستعمل بعضهم النباتات العطرية المختلفة فيضعونها في جيوبهم أو يعقدونها على هيئة عقود على رؤوسهم وتستخدم بكثرة في الأعياد والمناسبات الاجتماعية ولاسيما الأفراح. ومن زينة الرجال لبس الخناجر والجنابي وبعضهم يفضل حمل العصا أثناء تنقله من مكان لآخر. وهناك من يلبس المسابت : وهي أحزمة جلدية لها جيوب تملأ بالرصاص وتلف حول وسط الرجل. ويحمل بعض الرجال الأسلحة النارية مثل البنادق والمسدسات وبخاصة أثناء السفر وفي مناسبات الزواج والأعياد [٣] .

٥ـ فنون وعادات اجتماعية أخرى :

عرفت محافظة محائل العديد من الأمثال الشعبية ، والحكم ، والأهازيج والأشعار الشعبية والأحاجي[٤] ، ومارس المحائليون رقصات وفنون شعبية مثل: الربخة وتعرف عندهم

---

(١) تاريخ اللباس والزينة في تهامة عسير، أو في عسير بشكل عام خلال القرنين(١٣ــ١٤هـ/١٩ــ٢٠م) موضوع جديد ويستحق إلى أن يكون عنواناً لأطروحة ماجستير أو دكتوراه.

(٢) هذه الزينة مستخدمة عند عموم نساء جنوبي البلاد السعودية ، مع اختلاف بسيط في طريقة اللباس وأنواعه وأوقات التزين بهذه الزينة .

(٣) للمزيد انظر ابن جريس ، عسير (١١٠٠ــ١٤٠٠هـ) ، ص٧٢ ، عبد العزيز الزهراني وآخرون ، ص ٧٩ ، إبراهيم الخولي وآخرون ، ص ١٤٥ .

(٤) جنوبي البلاد السعودية غنية في باب الأحاجي والحكم والأهازيج والأشعار ، والجامعات في هذه الأوطان وبخاصة أقسام اللغة العربية وآدابها عليها مسؤوليات كبرى تجاه هذه الفنون المعرفية التي عرفها ومارسها الأوائل ، وكثير منها بدأ ينقرض وسوف يضيع تماماً إذا لم يجمع ويدرس.

أيضاً باسم (الخطوة) ، والدمة ، والعرضة ، واللعب[١] . ولهم تقاليد في مناسبات الزواج ، والختان ، والمآتم واستقبال المسافرين أو الحجاج ، وعادات الجوار ، والسماية ، وإغاثة الملهوف، والتكافل والتآزر والتعاون وغيرها[٢] .

٦ـ اللهجات المحلية :

من خلال تنقلي في محافظة محائل واحتكاكي ببعض رجالها وشبابها ، وأيضاً ذهابي إلى بعض أسواقها ومناسباتها الاجتماعية استطعت أن أخرج ببعض الانطباعات عن لهجة أهلها [٣] ، وعن معاني بعض مفرداتهم ، وكثير منها لها أصول في معاجم اللغة العربية الرئيسة[٤] .

وفي بلاد محايل نجدهم يقلبون الجيم إلى ياء مثل: جبل : يبل . جمل : يمل. والكاف إلى شين مثل: مابك : مابش . كيف حالك : كيف حالش . ويزجون بالجمل المعترضة في وسط أحاديثهم بقصد المودة والدعاء ، فنجد الواحد وهو يتكلم معك يقول في وسط حديثه

---

(١) تاريخ الفنون الشعبية في تهامة عسير موضوع يستحق البحث والدراسة وإذا اتخذ عنواناً لرسالة علمية أو كتاب علمي ثقافي فإنه سوف يحوي مادة علمية جديدة يطلع عليها جيل اليوم ومن ثم يعرفون جزءاً من حياة السابقين الحضارية .

(٢) من خلال تجوالنا في بلاد تهامة والسراة خلال الأربعة عقود الماضية استطعنا جمع مئات بل آلاف الوثائق التاريخية والحضارية . ويوجد بين هذه الوثائق أعداد كثيرة تعكس صور التعاون والتكافل الذي كان يعيشه المجتمع الجنوبي السعودي خلال القرنين (١٣ــ١٤هـ/١٩ــ٢٠م) . وننادي من على صفحات هذا الكتاب جامعات الجنوب وبخاصة أقسامها العلمية : التاريخ ، والاجتماع ، واللغة العربية وآدابها فتوجه بعض أعضائها وطلابها في برامج الدراسات العليا إلى دراسة مثل هذه الوثائق القيمة والجديدة في مادتها التاريخية والحضارية .

(٣) هذه الانطباعات ليست وليدة الساعة ، وإنما كنت أتردد على منطقة محائل منذ ثلاثين عاماً ، وأحياناً أذهب للنزهة فلا أركز على جمع مادة علمية معينة ، وفي أوقات أخرى أتعمد السؤال ومعرفة بعض الجوانب التاريخية الحضارية المختلفة .

(٤) في القسم الرابع من هذا السفر ذكرنا بعض الأمثلة والنماذج عن لهجات سروات عسير، ونستطيع القول أن لهجات جنوبي البلاد السعودية موضوع كبير ويستوعب عشرات الكتب والدراسات ، والأمل معقود على أقسام اللغة العربية وآدابها في جامعات الملك خالد ، والباحة ، وجازان فتدرس مثل هذه الموضوعات العلمية الثقافية الحضارية .

(إيه وأنا فداك)، وفي مقام الإشفاق على المخاطب يقولون (الله يطعني عنك) (ربي يأخذني قبلك) ، وهكذا من هذه العبارات ، ولاسيما النساء فإنهن أكثر استعمالاً لمثل هذه المصطلحات، ونجد استخدام الحلف (اليمين) كثيراً وفي صغائر الأمور وكبارها[١] . وهناك من يقلب النون إلى راء فيقول محمد بر عبد الله ، ويقصد بذلك محمد بن عبد الله ، ويطلقون كلمة (ثمّ) على هناك ويقصد بذلك(هناك)، فيقول جئت من الوادي وتركت محمد (ثم)[٢] أي هناك.

وفي السطور التالية نذكر بعض المفردات المحلية في محافظة محائل مع تفسير معانيها ومصدرها في بعض المعاجم اللغوية إن وجدت ، والسبب الذي جعلني أورد هذه الجزئية هو تحريك شجون بعض الأكاديميين أو الباحثين في أقسام اللغة العربية في جنوبي البلاد السعودية فيهتموا بدراسة لهجات المناطق الجنوبية فيدرسونها دراسة علمية أكاديمية توثيقية[٣] .

(*) **أجْوَى** : سكون الجيم وفتح الواو ، أي بمعنى (أشتاق). والجوى في العربية : أي الحرقة وشدة الوجد من عشق أو حزن .

(*) **اشْتَبح** : سكون الشين وفتح التاء والباء ، ويقصد بها (انظر).

(*) **أشْيه** : أي : حسن ، وقد يسأل الإنسان في مرضه فيقال له: (كيف حالك) فيكون جوابه (أَشيه) وربما قال (أشوى). والشوي : الهين من الأمر .

(*) **إبْرَة** : سكون الباء وفتح الراء ، ومعناها (البنت) فيقال: إبره صغيرة أو مهذية ، أي بنت صغيرة أو مهذية .

(*) **أمشوه** : وهي صفة تطلق على الرجل الدميم الخلقة ، والألف والميم هنا في مقام : أل التعريف .

---

(١) هذه عادة سيئة ونسمعها في نواح عديدة حتى الآن من بلاد تهامة والسراة ، ويجب على خطباء المساجد والمعلمين التنبيه لمثل ذلك وعدم جوازه شرعاً .

(٢) دراسة لهجات منطقة محائل وما جاورها من بلدان تهامة موضوع جديد ويستحق البحث والدراسة في عدد من البحوث أو الرسائل العلمية الأكاديمية ، ونأمل من الأقسام المتخصصة في جامعات الجنوب أن تهتم بمثل هذه الموضوعات المهمة .

(٣) في كثير من دراساتي وأبحاثي ذكرت بعض العناوين الهامة والجديرة بالدراسة ، واللهجات المحلية من الميادين العلمية الجديرة بالبحث والتحليل .

(*) **بَرّة** : خرج مبكراً ، ويقال : اين برهت ، أي أين خرجت في الصباح ، أو ما بره بك : ما الذي أخرجك في الصباح الباكر[1] .

(*) **بَهْم**: يعني صغار الغنم. وهي عربية فصيحة جاءت في معجم اللسان في مادة (بهم). والبهيمة كل ذات أربع قوائم من دواب البر والماء ، وجمعها بهائم . والبهمة : الصغيرة من أولاد الضأن والمعز ، والذكر والأنثى في ذلك سواء .

(*) **تقطب** : أي أمسك ، ويقال : قطب الشيء يقطبه قطباً ، ويعني بذلك الإمساك. وقطب الرجل ما بين حاجبيه أي جمعهما ، والقطوب : العبوس وهو بمعنى الإمساك ضد الانبساط أو الانفراج.

(*) **تهرج** : أي تكلم ، ويقال هرج القوم : أي في كلامهم حدة وشدة وارتفاع . ويقصد بالهرج أيضاً (القتل) .

(*) **تبة** : أي المكان البارز المرتفع من الأرض .

(*) **تحرى** : انتظر ، فإذا كان بينك وبين شخص آخر موعداً ، ثم تأخر عن موعده ، فيقال له (تحريت لك ولكن تأخرت . وذكر في الحديث (**تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان**) . وفي حديث آخر (**لا تتحروا بالصلاة طلوع الشمس وغروبها**).

(*) **تعه** : أي تعال وأصلها عربي ، وتقول العرب في النداء للرحيل تعال ، للمفرد أو تعالوا، للجمع . وفي القرآن الكريم قوله تعالى { **قل تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم** } ولفظة تعه المحلية مخففة من كلمة تعال ، وأبدلت اللام هاء وحذفت الألف فصارت (تعه) .

(*) **جله ، وجاهل** : الأولى يقصد بها الرمل أو الأرض الرملية . والثانية : تطلق على الطفل الصغير، فيقال سمعت جاهلاً يبكي ، أي طفلاً يبكي . والجهل عكس المعرفة والعلم ، وكون الطفل يولد جاهلاً ليس لديه علم بالحياة فقد أطلق عليه اسم (جاهل).

---

(١) جميع المفردات السابقة سمعتها في أسواق وقرى منطقة محائل ، والكثير منها يستخدم عند كثير من سكان تهامة والسراة . المصدر : مشاهدات الباحث وانطباعاته عام (٣٣ــ١٤٣٤هـ /٢٠١٢ــ٢٠١٣م) .

(*) **جغرة ، وجعط** : الأولى بمعنى البرمة الكبيرة المصنوعة من الفخار ، ولم نجد لها ذكراً في المعاجم العربية . وجعط : أي صرخ من شدة الألم .وهذه المفردة محلية بحتة تستخدم في نواح عديدة من تهامة مثل : بلدة محائل ، والبرك ، والمجاردة وغيرها.

(*) **جوه ، وجهمة** : وربما يُقال: يوه ، ويهمه ، أي يقلب الجيم إلى ياء . وكلمة جوه : أي في الداخل ، فيقال: أين فلان فيرد المسؤول بقوله (جوه البيت) ، أي داخل البيت . وجهمه : أي مغادرة البيت في الصباح الباكر ، فيقال يهمت أوجهمت إلى السوق لشراء بعض الأغراض ، أي ذهبت بعد صلاة الصبح أو في بداية الصبح إلى السوق .

(*) **حدبة أو حدب** : أي جبل أو أرض وقوله تعالى **{ وهم من كل حدب ينسلون }** ، أي من كل أكمة ومن كل موضع مرتفع . والحدبة : ما أشرف من الأرض وغلظ وارتفع.

(*) **حشوة** : أي قرية صغيرة ، فيقال : انتقلت من مدينة محائل إلى حشوة قريبة منها ، أي إلى قرية على مقربة منها .

(*) **حاق** : أي نظف ، ويقال حاق البيت حوقاً : أي كنسه ونظفه .

(*) **خش**: أي دخل . وإذا تزوج الرجل ودخل بزوجته ، يقال أحياناً دخل بها ، أي جلس منها مجلس الرجل من زوجته ، وقال : انخش الرجل في القوم انخشاشاً ، أي دخل فيهم .

(*) **خُبْرَة ، وخايس ، وخلب** : الأولى المجموعة أو الجماعة من الناس . والثانية : أي فاسد ، فيقال هذا طعام خايس ، أي عفن وغير صالح للأكل . والخلب : أي الطين المعجون بالماء.

(*) **دور ، ودب ، ودهيس** : الأولى يقصد بها البحث عن شيء ما ، ودب : مشى على قدميه. والدهيس : نوع من أنواع الطعام المعروف في بلاد محائل ، وهو عبارة عن سمسم يطحن مع البر . ووردت كلمة (دهس) في بعض المعاجم اللغوية ويقصد بها كل لين سهل من الأرض ، فليس رملاً ، ولا طيناً .

(*) **ذلف ، وذم ، وذيانة** : الأولى تجاوز شيئاً ما ، فيقال ذلف المسافر من وراء هذه الهضبة ، أي تجاوز هذه الهضبة في ذهابه وسفره. وذم : من الدين ، فيقول التاجر لزبونه اشتر ما تريد وسوف أذم لك في الثمن ، أي أعطيك بالأجل أو الدين . وذيانه : يقصد بها اسم الإشارة هذا. فيقال من هو والدك ، فيرد المسؤول بقوله (ذيانة) ويشير إلى والده.

(*) **رشح** : أي المرحلة الأخيرة من مراحل طحن الحب . والمقصود بترشيح الحب أي تهيئته بالطحن والعجن . وفي الحديث [**يأكلون حصيدها ، ويرشحون خضيرها**] والخضير المقطوع من شجر الثمر.

(*) **زربة ، وزمخ** : الأولى ، سور من الشوك يوضع للبهائم ، والزريبة : حظيرة الغنم . وزمخ: أي زمجر وأعرض . وفي العربية يقال زمخ الرجل بأنفه زمخاً ، أي تكبر وتاه .والزامخ ، الشامخ بأنفه .

(*) **سكّر ، وسرداب ، وسخلة** : سكر ، أي قفل . والمثل الشعبي يقول : (**باب يأتيك منه ريح سكره واستريح**) . وسرداب : إناء من الفخار يوضع فيه الماء ليبقى بارداً . والسخلة : أو السخال: صغار الضأن .

(*) **شرهة ، شرفية ، شام ، شملة** : الشرهة : العيب والعار. وشرفية :اسم يطلق على الأرنب . وشام: أي جهة الشمال فيقال: ذهب نحو الشام ، أي : جهة الشمال . والشملة : الرياح الباردة .

(*) **صمل ، وصمادة ، وصعف ، وصعدة**: الصمل : أي العزم على البدء في مشروع أو عمل. والصمادة: تعني : الشماغ أو الغترة . والصعف : أي القذارة أو الأوساخ . وصعدة : أي العصا التي يستخدمها كبير السن أثناء المشي والحركة.

(*) **طبق ، وطبج ، وطَفّة ، وطش** : الطبق : أي الضرب ، ويقصد بها في اللغة العربية غطاء كل شيء ، وجمع الطبق ، أطباق . والطبج : أي الطرد . والطفة : أي المطل ، أو الأرض المرتفعة التي تطل على غيرها . وطش: أي كب أو سكب الماء أو غيره من السوائل.

(*) **ظعن ، وظام** : الأولى بمعنى الرحيل والذهاب قال تعالى { **يوم ظعنكم ويوم إقامتكم**} ، وسميت المرأة ظعينة لأنها تظعن مع زوجها . وظام : أي أتعب أو أحزن أو آلم .

(*) **غلامين ، وغربة ، غمة** : الغلامين : أي القدمين ، ولم نجدها في معاجم اللغة العربية بهذا المعنى . وغربة: إناء من النحاس يوضع فيه ماء تشرب منه الماشية . وغمة : صفة تطلق على الشخص المتخاذل والكسول. والغم في الغربة : أي الحزن والكرب .

(*) **الغرير ، فجرة** : الغرير ولد النعجة والماعز والبقرة . والفجرة : أي الفتحة أو الباب ، فيقال فتح الفلاح فجرة في مجرى الماء إلى المزرعة ، أي فتح طريقاً من مجرى الماء الرئيس إلى مجرى آخر يسقي به الزروع.

(*) **قعادة ، قسي ، كتحة ، وكدحة** : القعادة : السرير المصنوع من الخشب، وأصبح هناك قعايد مصنوعة من الحديد أيضاً . وقسي : بفتح القاف وكسر السين : أي أغمي عليه من شدة الضحك . والقسوة في اللغة أي الصلابة . قال تعالى { **ثم قست قلوبكم** } أي غلظت ويبست. والكتحة : صفة تطلق على الرجل الذي لا يستطيع تدبير أموره ، والكدحة : أي الهضبة . والكدح في اللغة أي العمل أو التعب

(*) **له ، لوه ، نفح ، لجع** : له : تعني لماذا ؟ ، وأحياناً تختصر فيقال (مه) . لوه: يقصد بها حرف النفي (لا) . ونفح : أي ضرب ، ويستبدل البعض حرف الحاء بحرف العين فيقول : (لفع). ولجع : صفة تطلق على الرجل كثير الكلام والثرثار . وربما جاءت من كلمة (جع) ، والجعجعة أي كثرة الكلام الذي ليس له فائدة .

(*) **مسفع ، مستارة ، مسلة ، محاكرة ، مرقب**. المسفع: خمار أو لباس تضعه المرأة على رأسها ، والمستارة : أي الحمّام ، والمسلة : الإبرة ، والمحاكرة : أي الخصام والمشاجرة ، والمرقب : أي النافذة أو الفتحة في المنزل أو الغرفة .

(*) **نجع ، نسوة ، نعل** . والنجع : الانتقال من مكان لآخر . والنسوة : النساء ، ونعل : يقصد بذلك اللعن ، فبدلاً من أن يقول الواحد (الله يلعن كذا وكذا) فهو يقلبها ويقول (الله ينعل كذا وكذا) .

(*) **هلم ، ، وثر ، وَخُرَ ، وَرَع** : هلم : أي تعال نحوي ، ومعناها في القواميس العربية أي : أقبل وتعال إليّ . وثر : أي يعمل عملاً معيناً بالجبر والقوة ، فمثلاً عليه دين و لم يسدده فيقال له وثرت سداده ، أي لزاماً عليك سداد دينك . ووخر ، أي ابتعد ، ويؤخر : إلى الزحزحة والابتعاد من المكان الذي يوجد فيه . ورع : أي انتظر ، والتورع: أي الانتظار والتوقف .

ثالثاً : صور من الحياة الاقتصادية :

١ـ الجمع والالتقاط والصيد :

مارس المحائليون نساءً ورجالاً مهنة جمع الحطب من أجل طهي أطعمتهم وأشربتهم ، و جمع الحشائش وبعض الأعشاب كعلف لبهائمهم ودوابهم . وهناك من عمل في جمع المساويك لبيعها أو توزيعها على من يستخدمها . وفي الماضي كان الناس في أمس الحاجة للطعام والشراب فتجدهم يعتنون بمحاصيلهم منذ زراعتها إلى حصدها ، والبعض يملكون البساتين والأشجار المثمرة مثل: العنب ، والتفاح ، وفواكه وخضروات أخرى فهم يقومون على جمعها بعد نضجها، ويستعينون أحياناً ببعض الأيدي العاملة المحلية في بلادهم [١] .

والصيد أيضاً مهنة قديمة جداً ، والعديد من رجالات محائل مارسوا الصيد للطعام والاقتيات مما يصيدون ، وهناك من كان يمارس الصيد من باب الهواية والتسلية ، ولكن هذا النوع من الصيادين كانوا قلة . والصيد غالباً يشمل الطيور ، والحمام ، والأرانب، والغزلان ، والحبارى . وهناك صيادون للوحوش والحيوانات المفترسة ، أو للعقارب والثعابين ، وهذا النوع من الصيادين يقومون بهذا العمل من باب دفع ضرر مثل هذه الزواحف أو الحيوانات الخطيرة . وطرق الصيد تتفاوت من استخدام الأسلحة النارية ، أو القيام ببعض الحيل من الصيادين الذين يرغبون اصطياد صيودهم[٢] .

---

(١) مهنة الالتقاط والجمع قديمة منذ خلق الله الإنسان . وقد عاصرنا هذه المهنة في العقود الأخيرة من القرن (١٤هـ/٢٠م) ، وفي مناطق عديدة من بلاد تهامة والسراة . كما عثرنا على العديد من وثائق القرنين (١٣ـ١٤هـ /١٩ـ٢٠م) ، وهي تشير إلى طريقة جمع الحطب من الجبال والأودية ، وأسعار الحزم أو الكومة من حطب القرض ، أو العتم ، أو الشوحط . وهناك وثائق وأعراف بين أفراد بعض العشائر التهامية وفيها بعض البنود التي تنص على طريقة جمع ثمار البساتين الخاصة ، أو جمع المساويك أو الزيتون البري من بعض جبال محائل ورجال ألمع والمجاردة . وللمزيد من التفصيلات انظر : ابن جريس ، عسير(١١٠٠ـ١٤٠٠هـ) ، ص١٢٢ وما بعدها ، عبد الله الطاير ، ص٤٥ ، محمد علي حسن حريش. عقبة شعار وأثرها في تطوير مدينة محائل . بحث جغرافي غير منشور ، جامعة الملك سعود ـ فرع أبها ، كلية التربية (ربيع الآخر ، ١٤٠٥هـ) ، ص٢٥ .

(٢) من يقرأ في كتب التراث الإسلامي المبكر والوسيط يجد أن الصيد كان يمارس في كل زمان ومكان. وهناك فنون وأساليب كثيرة لممارسة الصيد . وفي الأربعين سنة الماضية عرفنا ومارسنا طرقاً عديدة لصيد الطيور . وبعض الغزلان ، كما عثرنا على وثائق محلية في تهامة وسروات منطقة عسير وهي مدونة من أفراد بعض العشائر التي تنص على تقنين ممارسة الصيد في أوطانها ، وتؤكد على الاجتهاد في صيد الطيور والحيوانات البرية التي كانت تتسبب في إيذائهم في بساتينهم ومحاصيلهم الزراعية . لمزيد من الاطلاع انظر : إبراهيم خولي وآخرون ، ص٨٢ـ٨٧ ، يوسف فلقي وآخرون ، ص٥٤ ـ٥٨ .

٢ـ الزراعة :

وقوع محائل على بعض الأودية الرئيسة مثل واديي تية وحلي وغيرهما جعلها تتميز بتربة صالحة للزراعة . والمتجول في الديار المحائلية يلاحظ كثرة الأراضي الزراعية في أنحاء المحافظة[١] . وكل ناحية أو قرية تحيط بها مزارعها ، وملاكها أهل البلاد أنفسهم ، وغالباً يتوراثها الأبناء عن آبائهم وأجدادهم[٢] . وفي السنوات العشر الأخيرة استطعنا أن نجمع مئات الوثائق من تهامة عسير ، ووجدنا من بين هذه الوثائق عدداً لابأس به يدور في فلك الحياة الزراعية في بلاد محائل وبارق والمجاردة . **وأهم ما ظهر لنا في هذه المصادر التاريخية ، ما يلي:**

أ ــ القطع الزراعية لها أسماء معلومة ، وكل قطعة يملكها شخص أو أسرة معينة ، ومعظم هذه الوثائق تذكر حدود وأطوال كل أرض زراعية .

ب ــ بعض الوثائق في هيئة صكوك وقفية لبعض الأراضي ، فلا تباع ولا تُشترى ، وإنما هي موقوفة على أفراد أسر معينة يأكلون ويشربون من محاصيلها ، لكنهم لا يستطيعون بيعها أو تقسيمها .

---

(١) هذا ما شاهدناه خلال تجوالنا في منطقة محائل منذ بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠ــ٢١م) . والزراعة قديماً من أهم أعمال محافظة محائل ، وذلك لضعف المصادر الاقتصادية الأخرى . أما اليوم فتركت الأرض الصالحة للزراعة ، بل تحول الكثير منها إلى مخططات سكنية ، وتوفرت مهن أخرى عديدة صرفت أهل البلاد عن ممارسة الأعمال الزراعية . للمزيد : انظر: غيثان بن جريس . (عسير ١١٠٠ــ١٤٠٠هـ) ، ص ٣٠ وما بعدها ، محمد علي حافظ . الملامح الجغرافية والبشرية لمحائل عسير . بحث جغرافي غير منشور ــ جامعة الملك سعود ــ فرع أبها ــ كلية التربية (د.ت) ص ٢٠ وما بعدها .

(٢) جميع الأراضي الزراعية الخاصة تنتقل ملكياتها بين أفراد الأسرة الواحدة عن طريق الإرث، وهناك أراضٍ عامة أو(مشاعة) . وهذه طبيعة عموم الأراضي العامة والخاصة في جنوبي البلاد السعودية ، وفي العقود الأخيرة أصبح أبناء القرية أو العشيرة الواحدة يتصارعون على الأراضي العامة (المشاعة) ، ومن ثم تضطر الحكومة إلى سحبها منهم ، وتصبح ملكاً للدولة تقيم عليها بعض المشاريع العمرانية العامة . ونستطيع القول أن دراسة تاريخ الأراضي الخاصة والعامة في محايل عسير أو أي ناحية من نواحي مناطق جازان ، أو نجران ، أو الباحة ، أو عسير موضوعات مهمة وجديدة وجديرة بالبحث والدراسة . نأمل من المؤرخين في هذه النواحي أن يدرسوا مثل هذه العناوين، وهناك آلاف الوثائق المحلية غير المنشورة التي تصب في خدمة مثل هذه الموضوعات المقترحة .

ج ــ أشارت بعض الوثائق إلى قسمة بعض التركات على مستحقيها ، والقضاة أو بعض العارفين بتقسيم المواريث هم الذين أشرفوا على تقسيمها وتوزيعها على الورثة.

د ــ هناك وثائق ذكرت أسعار بعض القطع الزراعية ، وطريقة ريها عن طريق ماء الأمطار وأحياناً من الآبار الجوفية . ووثائق أخرى بينت منتوجات بعض المزارع أو البساتين . وحبوب الذرة ، والدخن ، والسمسم من أهم محاصيل منطقة محائل[١] .

وطرق الزراعة في محائل قديماً تقليدية ، فأهل البلاد أنفسهم يقومون على خدمة مزارعهم عن طريق التعاون والتكاتف بين أفراد الأسرة الواحدة ، أو بين أفراد القرية أو العشيرة الواحدة منذ استصلاح الأراضي إلى الزراعة والحصاد[٢] . وجميع أدوات الري والزراعة بدائية ، وصناعتها محلية[٣] ، والحيوانات مثل: الأبقار ، والجمال ، والحمير هي العمود الرئيس في ممارسة مهنة الرعي والزراعة.[٤] .

---

(١) نأمل أن نرى إحدى أو أحد طالباتنا أو طلابنا في برنامج ماجستير التاريخ بجامعة الملك خالد فيتخذ تاريخ الزراعة في محائل عسير خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) موضوعاً لأطروحته العلمية ، ومن يفعل ذلك فسوف يطلع على وثائق جديدة لم تنشر .

(٢) موضوع التآزر والتكافل الاجتماعي بين سكان منطقة محائل وبخاصة في مهنة الري والزراعة موضوع جديد ويستحق أن يدرس في هيئة بحث علمي أو رسالة أكاديمية توثيقية .

(٣) عرفت الصناعات التقليدية المحلية في منطقة محائل الحدادة والنجارة ، وصناعة الجلد وغيرها من الصناعات الرئيسة التي يحتاجها المزارعون في ممارسة مهن الرعي والزراعة . وللمزيد عن أهمية الصناعة التقليدية في محائل خلال القرن الهجري الماضي. انظر عبد العزيز الزهراني وآخرون . محايل عسير (دارسة تاريخية مختصرة للصناعات التقليدية والحرف اليدوية خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) ، ص١٥ وما بعدها .

(٤) كانت الأبقار والحمير والجمال من العوامل الرئيسة في ممارسة الزراعة في محايل وغيرها من جنوبي السعودية . ومنذ ثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) دخلت إلى منطقة الجنوب آلات الحراثة ، والحصاد ، ورفع المياه من الآبار ، لكن الحيوانات ظلت مهمة ومستخدمة إلى العقد الثاني من القرن (١٥هـ/٢٠م) ، ثم بدأت تتلاشى وتختفي حتى أصبحنا لا نراها إلا نادراً جداً ، وبخاصة في المناطق الوعرة التي لا ترتبط بطرق سهلة تسلكها آلات الزراعة والرعي . تاريخ التنمية والتطور في نجران ، والباحة ، والقنفذة) خلال الخمسين عاماً الماضية موضوعات مهمة جداً وتستحق أن يصدر عنها عشرات البحوث والكتب والدراسات العلمية الأكاديمية .

ومن العقبات التي واجهت الزراعة والمزارعين في منطقة محائل ما يلي :

أ ــ الجفاف والقحط ، وأحياناً هطول الأمطار بشكل كبير ولفترة طويلة .وتتمثل العقبات في الخراب والخسارة في ميدان الزراعة . وقد التقينا ببعض المسنين في أرياف محائل فذكروا لنا أن النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) شهد بعض المجاعات والجفاف في فترات متقطعة ، كما هطلت أمطار شديدة في السبعينيات والثمانينيات من القرن نفسه ، ونتج عن ذلك أضرار كبيرة أهلكت الكثير من الدواب والمزروعات[١] .

ب ــ قلة ذات اليد عند الناس تجعلهم يعيشون عيشة الكفاف في ممارسة مهنة الزراعة وغيرها من المهن التي يقتاتون منها . وهناك الحروب والصراعات القبلية ، واللصوص الذين يرقبون غفلة الفلاحين عن بساتينهم وزروعهم فيسرقون محاصيلها ، وغالباً ما تكون سرقاتهم في أوقات الليل[٢] .

٣ـ الصناعات والحرف التقليدية :

جمعت منطقة محائل بين حياة البادية والريف والمدنية . وهذه الطبقات الاجتماعية مارست مهناً وحرفاً وصناعات تقليدية كثيرة . وحتى نقدم صورة واضحة في رصدنا التاريخي لهذا المحور ، فقد كلفت ثمانية طلاب في سنة تخرجهم بقسم التاريخ في كلية التربية ــ فرع جامعة الملك سعود في أبها عام (١٨ــ١٤١٩هـ/٩٨ــ١٩٩٩م) بإنجاز عمل جماعي

---

(١) في نهاية عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) التقيت بالعديد من شيوخ وكبار بني ثوعة ، والريش ، وقنا ،وبحر أبو سكينة فذكروا لنا تفاصيل تاريخية حضارية عن المنطقة ومعظمها تدور في الفترة الممتدة من عام ١٣٧٠ــ١٤١٥هـ/١٩٥٠ــ١٩٩٥م) . وقد ننشر هذه المادة العلمية في إحدى دراساتنا المستقبلية.

(٢) تم الاطلاع على بعض الوثائق التي تعود إلى النصف الأول من القرن (١٤هـ/٢٠م) ومعظمها مدونة من قبل أعيان ووجهاء القبائل المحائلية ، أو من بعض القوى السياسية في عسير أو جازان . وجميع مادتها تنص على معاقبة من يعتدي على مزارع الغير، وبعضها تذكر أساليب التعاون بين المزارعين وشيوخ القبائل أثناء جمع زكوات الحبوب المختلفة ، وهناك وثائق تذكر مقادير الزكاة التي كانت تجلب من محائل خلال بعض الفصول السنوية . دراسة تاريخ منطقة محائل الأمني والمالي والإداري خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) موضوع مهم ويستحق أن يكون عنواناً لرسالة ماجستير أو دكتوراه .

استغرق منهم سنة دراسية[١] ، وكان عنوانه : **محايل عسير (دراسة تاريخية مختصرة للصناعات التقليدية والحرف اليدوية خلال القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي)**[٢] .

وفي هذا البحث نجد الطلاب قد فصلوا الحديث عن حرف وصناعات تقليدية عديدة مثل: الصناعات الغذائية ، والدباغة والخرازة ، والصناعات الحجرية والفخارية ، والصناعات الحديدية والنحاسية ومعادن أخرى مثل: الذهب والفضة . وأشاروا إلى بعض الحرف والصناعات التي عرفها المحائليون مثل: استخلاص زيت القطران ، وصناعة البارود، وتربية النحل، والبناء وصناعة الجص ، ومهن أخرى عديدة ، كالتجارة ، والزراعة ، والحجامة ، والطهي ، والغسيل ، والصيد وغيرها [٣] .

---

(١)أولئك الطلاب الثمانية هم : (١) عبدالعزيز إبراهيم الزهراني . (٢) محمد بعسوس القرني .(٣)محمد حسن الربعي .(٤) عامر عمر المعيدي .(٥)صالح عبد الرحمن الشهري . (٦) عامر مفرح العسيري. (٧)أحمد علي الغيلاني . (٨) سعيد علي الأحمري. هؤلاء الطلاب وأمثالهم العشرات بل المئات امتهنوا مهنة التعليم ، وقد قابلت بعضهم مؤخراً في مراكز تربوية قيادية ، ونسأل الله أن يوفقنا جميعاً إلى كل خير ، وأن يرزقنا من فضله إنه على كل شيء قدير ، كما أوصيهم ونفسي بتقوى الله في السر والعلن . والله المستعان .

(٢)البحث يقع في (١٨٧) صفحة من قطع الورق (A٤) ويحتوي على معلومات قيمة عن الحرف والصناعات في محائل ، بالإضافة إلى ملاحق كثيرة وصور فوتوغرافية لبعض الأدوات الحرفية والصناعية في المنطقة . يوجد نسخة من البحث ضمن مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية (بحوث ودراسات غير منشورة) رقم (٢٢٣) .

(٣)المرجع نفسه . كما اطلعنا على بعض المراجع المطبوعة ووثائق غير منشورة فوجدناها تشير إلى مهن وحرف كثيرة عرفتها منطقة تهامة منذ صدر الإسلام إلى القرن (١٤هـ/٢٠م) . ومنذ بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) بدأت كثير من الصناعات القديمة تتلاشى ، بسبب التمدن والتطور الذي تعيشه البلاد خلال العقود الماضية المتأخرة. ودراسة تاريخ الحرف والصناعات في تهامة عسير ، أو في بلاد عسير بشكل عام خلال القرنين (١٣ـ١٤هـ/١٩ـ٢٠م) موضوع مهم ويستحق أن يكون عنواناً لرسالة دكتوراه ، أو عنواناً لكتاب علمي . ونأمل من المؤرخين والمتخصصين في منطقة عسير أن يلتفتوا إلى دراسة مثل هذا الموضوع الحضاري المهم .

٤ـ التجارة :

كانت تجارة محايل نشطة لأسباب عديدة من أهمها ما يلي :

أ ـــ توسط المنطقة المحائلية في تهامة عسير فبلاد رجال ألمع وسروات عسير تحدها من الشرق والجنوب الشرقي . وبارق وبلاد المجاردة وبعض سروات الحجر من الشمال والشمال الشرقي وبعض موانئ البحر الأحمر مثل: البرك وحلي والقحمة من الغرب[١] .

ب ـــ ارتباطها بالعديد من الطرق البرية القديمة والحديثة مثل : محائل وأجزاء عديدة من رجال ألمع ، ومحائل ـــ بارق المجاردة ، ومحائل ـــ بحر أبو سكينة ، وطرق أخرى بين بعض النواحي في محافظة القنفذة ومحافظة محائل ، ومحائل ـــ الريش ، ومحائل ـــ ثلوث المنظر ، ومحائل ـــ أبها عبر عقبة شعار[٢] .

ج ـــ وجود العديد من الأسواق الأسبوعية المتناثرة في أنحاء منطقة محائل ، وجميع هذه الأسواق تقام طوال أيام الأسبوع بالتناوب . وسوق السبت بمدينة محائل يعد من أهم وأنشط الأسواق في تهامة عسير. وقد أشار إليه محمد عمر رفيع في سبعينيات القرن (١٤هـــ/٢٠م) فقال: " **ولمحائل سوق يقام في كل سبت يقولون أنه من أروج أسواق هذه الجهة ، وأكثرها حركة لما حول محائل من القبائل الوفيرة العدد ، ولقرب محائل من البندر ، ويعنون به ثغر القنفذة ، الذي لايبعد عنها بأكثر من ثلاث مراحل...**"[٣] .

---

(١) مشاهدات الباحث لعموم هذه المناطق والتنقل في أرجائها خلال الثلاثين سنة الماضية .

(٢) الطرق قديماً كانت مسلوكة بالجمال والحمير ، واليوم أصبحت مدينة محائل مرتبطة بشبكة جيدة من الطرق البرية المعبدة التي تربطها مع جميع أنحاء مناطق عسير وجازان ونجران والباحة . وتاريخ المواصلات في تهامة عسير من الموضوعات الجيدة والجديرة بالدراسة . حبذا أن نرى أحد طلاب الدراسات العليا في قسم التاريخ بجامعة الملك خالد فيتخذه موضوعاً لأطروحته لدرجة الماجستير.

(٣) محمد عمر رفيع ، في ربوع عسير (ط١) ص١٠ وما بعدها . وسوق سبت محايل لازال حتى اليوم من أنشط الأسواق اليومية في تهامة الممتدة من مكة المكرمة إلى جازان ، فتجده يعمل بشكل مستمر ويحوي جميع أنواع السلع والبضائع المختلفة . ولمزيد من التفصيلات عن سوق السبت بمحائل وعن باقي الأسواق الأسبوعية فيها انظر يوسف فلقي وآخرون ، محايل عسير ، بحث تاريخي غير منشور (١٨ـــ١٤١٩هـــ)، ورقمه في مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية (١٨٨) ، ص ٤٠ـــ٥٥ ، انظر أيضاً إبراهيم خولي وآخرون ، ص ٩٢ ـــ ٩٤ .

د ــ نشاط الصادرات والواردات في منطقة محائل ، وكثير من الصادرات إلى الأسواق الأسبوعية ترد إليها قديماً من أرياف وبوادي البلاد المحائلية ، وواردات أخرى تصل إليها من خارج محافظة محائل مثل : سروات عسير ورجال الحجر ، ومن رجال ألمع وجازان ، ومن القنفذة والبرك وبعض حواضر الحجاز الكبرى كالطائف ومكة المكرمة وجدة . وكان الكثير من حيوانات وحبوب ومصنوعات منطقة محائل تصدر إلى الأسواق القريبة واليعيدة في الحجاز وجنوبي البلاد السعودية[1] .

رابعاً : لمحة عن الحياة الثقافية والتعليمية :

من خلال بحثنا عن تاريخ الثقافة والتعليم في محائل قبل النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) ، اتضح لنا أمور ندرج أهمها في النقاط التالية :

١ــ عرفت محائل عسير عدداً من القوى السياسية في الحجاز ، وجازان ، وعسير ، ثم العثمانيين، وأخيراً الدولة السعودية الحديثة . والدارس لتاريخ الإدارة والتعليم في تلك الحكومات يجدها جميعاً تدين بشرع الله ، فالقرآن الكريم والسنة النبوية كانت الأساس في إدارة دفة الحكم في بلدانها . ومن ثم فالشرع الحكيم يطبق في مؤسساتها الإدارية ، وفي محاكمها ، وفي أداء صلواتها وزكواتها، وتقسيم المواريث بين رعاياها، وعقود أنكحتهم وأعيادهم ومآتمهم وغيرها .

---

(١) وقد اطلعنا على عشرات الوثائق الاقتصادية التي يعود تاريخها إلى النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) وبها أسماء صادرات وواردات عديدة كانت تصدر أو تورد من أو إلى أسواق محائل الأسبوعية . والجميل في بعض تلك الوثائق أنها تذكر أسماء كثير من السلع ، وأحجامها ومقاديرها وأحياناً أسعارها ، وأسماء بعض التجار الوسطاء الذين كانوا يعملون في تجارات ذلك الزمن سواءً في مدينة محائل أو في بعض الحواضر الرئيسة في تهامة مثل : القنفذة ، والشقيق ، وصبيا ، وجازان ، ورجال ألمع ، وأبها . ونقول لأبنائنا وطلابنا من المؤرخين أو الباحثين في حواضر تهامة الرئيسة أن تاريخ التجارة في هذه النواحي خلال القرنين (١٣ــ١٤هـ/١٩ــ٢٠م) من الموضوعات المهمة جداً والجديرة بالبحث والدراسة ، وتستحق أن يخرج عنها عشرات الكتب والبحوث والرسائل العلمية ، ونرجو منهم ومن أعضاء هيئة التدريس في أقسام التاريخ بجامعات الباحة، والملك خالد ، وجازان أن يلتفتوا إلى خدمة مثل هذه العناوين الجيدة فيدرسوها ، ويقترحوا على طلابهم وطالباتهم في برامج الماجستير والدكتوراه دراستها وأمثالها من الموضوعات الجديدة في ميادينها .

٢ــ تم الاطلاع على مئات الوثائق المحلية في منطقة عسير خلال القرن الثالث عشر وبداية القرن الرابع عشر الهجريين (١٩ــ٢٠م) ، وبعض من تلك المصادر يدور في فلك بلدان رجال ألمع ومحائل والمجاردة والبرك ، ويظهر من مادة تلك الوثائق ما يلي :

أ ــ أنها صادرة من إدارات تستمد قراراتها من حكام أو سلاطين أو أمراء القوى السياسية السابق ذكرها في الفقرة رقم (١) من هذا المحور.

ب ــ بعض تلك الوثائق عبارة عن صكوك شرعية ، أو إجازات علمية أو خطب في مناسبات الأعياد والجمع والجماعات . ووثائق أخرى تعكس طريقة تقسيم المواريث في بعض نواحي منطقة عسير ، ويظهر في تلك الوثائق أسماء قضاة ، وخطباء ، ومدرسون أو محتسبون يقومون بتدريس أبناء الحواضر التهامية في المساجد وأحياناً في البيوت المبنية بالحجر أو القش[١] .

٣ــ حسب علمنا ومما قرأنا عن محائل أنها لم تعرف مدارس نظامية قبل خمسينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) ، وإنما كان هناك أعداداً قليلة جداً تقوم على خدمة المحائلين تعليماً مثل إمامتهم في الصلاة ، وإتمام عقود الأنكحة وإجراء ما هو ضروري لسير حياة الناس وتعايشهم تحت مظلة الشرع الحنيف . والقائمون بهذه الأعمال التعليمية كانوا وافدين من مناطق أخرى خارج بلاد محائل ، أو من بعض أبناء محائل أنفسهم الذين ذهبوا للعلم والتعليم في جازان أو البرك أو رجال ألمع أو الحجاز ، ثم عادوا إلى بلادهم لتعليم أهلها وتنويرهم في شؤون حياتهم[٢] .

---

(١) يوجد في مكتبة الباحث عشرات الوثائق غير المفهرسة وبها معلومات عن الثقافة والمتعلمين أو من يستطيع القراءة والكتاب في مجتمع محائل وما جاوره من قرى وحواضر قامة الممتدة من المجاردة شمالاً إلى محائل والشقيق جنوباً . وقد وجدنا أسماء بعض أبناء هذه النواحي الذين كانوا يذهبون إلى مدن الحجاز الرئيسة ، والبرك ، ورجال ألمع ، وجازان ، وأحياناً اليمن بهدف الدراسة والاستزادة من التعليم ، ثم العودة إلى أوطانهم من أجل خدمة أهلهم وبني جلدتهم ثقافياً وتعليمياً . وتاريخ التعليم في قامة عسير خلال القرنين (١٣ــ ١٤هـ/١٩ــ٢٠م) موضوع يستحق أن يكون عنواناً لكتاب أو رسالة علمية أكاديمية .

(٢) هذا ما سمعه الباحث من بعض كبار السن في منطقة محائل أثناء السير في أرجائها في عام (١٤٣٤هـ /٢٠١٣م) . كما حصل على بعض الوثائق التي تؤكد صحة ما تم ذكره أعلاه. وتاريخ التعليم في محافظة محائل وما جاورها من بلدان قامة خلال القرن(١٣هـ/١٩م) ، والنصف الأول من القرن (١٤هـ/٢٠م) موضوع يستحق أن يكون عنواناً لبحث علمي أو رسالة أكاديمية تخرج من أحد أقسام التاريخ في جامعاتنا السعودية . للمزيد انظر : علي راشد العسيري . لمحة عن تاريخ التعليم في محائل عسير خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) بحث تاريخي غير منشور ــ كلية التربية ــ جامعة الملك سعود ــ فرع أبها (١٧ــ١٤١٨هـ/١٩٩٧م) ، ص٢٨ وما بعدها .

بدأ التعليم النظامي في محائل عام (١٣٥٧هـ/١٩٣٨م) ، وقد أوردنا في دراسة سابقة تفصيلات عن نشأة أول مدرسة في محائل ، وذلك نقلاً عن رائدين من رواد التعليم في منطقة عسير ، وهما: الشيخ عبد المالك الطرابلسي ، والأستاذ محمد أحمد أنور[١] ، اللذين ذكر افتتاح أول مدرسة حكومية في محائل عام (١٣٥٧هـ/١٩٣٨م) فقالا : "...**عين الأستاذ عبد الله مهدي الحكمي أول مدير لها ، وكان يعمل معه الأستاذ عبد الله بن علي ابن خنفور ، وعند افتتاحها تم استئجار مبنى لها ، وبقيت تابعة للجهاز الإداري في أبها حتى عام (١٣٧٧هـ / ١٩٥٧م)**.."[٢]. ولكن لوعورة المسالك الواصلة بين أبها ومحائل ربطت بالجهاز الإداري التعليمي في القنفذة ، وأصبح اسمها مدرسة خالد بن الوليد واستمرت على هذا المنوال حتى تسهلت المواصلات بين أبها ومحائل ، فرغب أهالي محائل ارتباطهم تعليماً بالإدارة التعليمية في أبها ، وعندئذٍ شُكلت لجنة من وكيل وزارة المعارف ، وطلب منها البحث ثم كتابة تقرير بخصوص مطلب أهالي محائل ، وقد اقترحت اللجنة ثلاثة اقتراحات ، هي: (١) أن تصبح محائل وما حولها إدارة تعليم مستقلة . (٢) أو يوضع بها مكتب إشراف يراجع إدارة تعليم أبها . (٣) أو تدمج ضمن المدارس التابعة لإدارة تعليم أبها . وأخذت الوزارة بالاقتراح الثالث ، وعدل اسمها إلى الوليد بن عبد الملك بدلاً من خالد بن الوليد ، وبقيت على تلك المسيرة حتى افتتحت إدارة تعليم محائل في عام (١٤٠١هـ/١٩٨١م)[٣] .

---

(١) لمزيد من التفصيلات عن هذين العلمين (الطرابلسي وأنور) ، وعن بدايات التعليم النظامي في منطقة عسير . انظر : غيثان بن جريس تاريخ التعليم في منطقة عسير (١٣٥٤ـ١٣٨٦هـ /١٩٣٤ـ١٩٦٦م) . (جدة: دار البلاد للطباعة والنشر ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م) . الجزء الأول ، ص٥٢ وما بعدها ، المؤلف نفسه . القول المكتوب في تاريخ الجنوب (عسير أنموذجاً) (الرياض : مطابع العبيكان ، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م) ، ج١ ، ص٥ـ٢٥٣، ٤٦٢ـ٤٧٧ ، المؤلف نفسه . من رواد التربية والتعليم في المملكة العربية السعودية (محمد أحمد أنور: دراسات ، وشهادات ، ووثائق) (الرياض : مطابع الحميضي ، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م) ، ص٢١ ، وما بعدها .

(٢) ابن جريس ، تاريخ التعليم ، ج١ ، ٥٧ ـ ٥٨ .

(٣) لمزيد من التفصيلات انظر: ابن جريس ، تاريخ التعليم ، ج١ ، ص٥٨ .

مر التعليم النظامي في محايل منذ نشأته حتى الآن بمراحل تطورية عديدة ، نذكرها باختصار في النقاط التالية :

أ ــ تزايدت المدارس في جميع مراحل التعليم العام (بنين وبنات) وجميع هذه المدارس تراجع إدارتي تعليم البنين والبنات في أبها . وفي عام (١٤٠١هـ/١٩٨١م) أنشئت إدارة تعليم البنات في محائل ، وصارت تشرف على جميع مدارس تهامة من قنا وبحر أبو سكينة إلى بارق والمجاردة . وبقيت إدارة تعليم البنات في أبها تشرف على التعليم النسوي المحائلي حتى أنشئت إدارة تعليم البنات بمحائل عام (١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م) ، ثم دمجت الإدارتين التعليميتين بمحافظة محائل في إدارة تعليم واحدة عام (١٤٣١هـ/ ٢٠١١م) . وهي تشرف اليوم على (٥٥٠) مدرسة بنين وبنات ، ويعمل في هذه المدارس (٩٢٧٥) معلماً ومعلمة [١] . ويدرس في مدارس محائل(٧٨٤٥١) طالباً وطالبة .

ب ــ أنشئت العديد من المعاهد مثل: المعهد العلمي التابع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام (١٣٩٨هـ) ، ومعهد المعلمين والمعلمات ، ومعهد التدريب المهني . وجميع هذه المعاهد أثرت إيجاباً في نهضة التربية والتعليم في المحافظة المحائلية [٢] .

ج ــ أسهمت المساجد ، وحلق القرآن ، ومراكز الدعوة والإرشاد ، والخطباء والأئمة والدعاة في نشر الوعي الديني والثقافي [٣] .

---

(١) تاريخ التعليم في محافظة محائل موضوع يستحق البحث والدراسة من عام (١٣٥٧ــ١٤٣٤هـ / ١٩٣٨ــ٢٠١٣م). ونأمل من الباحثين والأكاديميين في أقسام التربية والتاريخ بجامعة الملك خالد أن يلتفتوا إلى مثل هذا الموضوع المهم والجديد في مادته العلمية . وللمزيد انظر: أحمد محمد عسيري ، ومحمد شار خليل . الحياة التعليمية في محايل عسير . بحث جغرافي غير منشور ــ كلية التربية ــ جامعة الملك سعود ــ فرع أبها (١٤١٠هـ/١٩٩٠م) ، ص٢٥ وما بعدها ، على راشد العسيري ، ص٢٣ وما بعدها ،

(٢) لقد زرت بعض هذه المعاهد في عام (١٤٣٠هـ/٢٠١٠م) واطلعت على بعض سجلاتها القديمة ، فاتضح لنا أنه درس بها أعداد كثيرة من الطلاب ، وكان يشرف عليها مدرسين وإداريين أكفاء في خلقهم وعلومهم وخبراتهم .

(٣) تاريخ الدعوة والإرشاد في منطقة عسير موضوع مهم ، حبذا أن نرى أحد الباحثين الجادين فيدرسه دراسة علمية أكاديمية خلال الثمانين عاماً الماضية .

د ـــ افتتحت كلية للبنات في محائل ، وكانت تشرف عليها إدارة تعليم البنات في أبها ، ثم انتقل الإشراف عليها إلى إدارة تعليم البنات في محائل عام (١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م) . وعند إنشاء جامعة الملك خالد في عسير تزايدت مؤسسات التعليم العالي في محائل حتى أصبحت في هذه السنة (١٤٣٤هـ/٢٠١٣م) ، (٩) أقسام علمية في أربع كليات . ومنذ بداية عام (١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م) عينت إدارة الجامعة مشرفاً عاماً على فرع الجامعة في تهامة ومقره مدينة محائل وذلك بهدف البناء والتطوير إلى جامعة مستقلة في المستقبل[١] .

هـ ـــ الناظر في محافظة محائل اليوم يجدها مليئة بالمتعلمين في شتى العلوم النظرية والعلمية البحتة . ويشاهد جميع مؤسساتها مكتظة بالموظفين الحاصلين على مختلف الشهادات . ناهيك عن بعض رجالاتها في المحافظة نفسها أو في عموم أجزاء المملكة العربية السعودية فمنهم الأدباء والشعراء والمهندسين والأطباء والصيادلة . كما يوجد بها عدد من المكتبات العامة مثل: المكتبة العامة التابعة لوزارة الثقافة والإعلام ، ومكتبة المعهد العلمي ، ومكتبات أخرى في الكليات ، والمعاهد والمدارس المتناثرة في أنحاء الديار المحائلية . كذلك المكتبات التجارية لا تخلو من كتب علمية ومجلات وجرائد عديدة . وبعد ظهور الشبكة العنكبوتية أصبح هناك مواقع ومنتديات عامة وخاص لعدد من الأفراد والمؤسسات والإدارات الحكومية والأهلية[٢] .

---

(١)هذا ما سمعته شخصياً من مدير جامعة الملك خالد الأستاذ الدكتور / عبد الرحمن الداود في شهر ربيع الآخر عام (١٤٣٤هـ/٢٠١٣م) . ومن خلال تجوالنا في منطقة تهامة من الليث والقنفذة إلى المخواة والمجاردة وبارق ومحائل والبرك ورجال ألمع وجدنا أن هذه المناطق مأهولة بالسكان وهي فعلاً تستحق أكثر من جامعة . ونأمل أن نرى قريباً جامعتين مستقلتين في القنفذة ومحائل ، وهذه من أقل واجبات هذه البلاد على حكومتنا الرشيدة وفقها الله .

(٢)تاريخ التنمية الذي تمر به محافظة محائل منذ بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠ـــ٢١م) ، موضوع جدير بالبحث والاستقصاء ، ونأمل أن نرى من طلابنا أو زملائنا في جامعة الملك خالد ، وبخاصة المنتمين إلى منطقة محائل فيدرسوا ما تمر به هذه البلاد من نمو ، وهذا أقل واجب علينا نحن أبناء جنوبي البلاد السعودية ، فنجتهد وندرس تاريخ وحضارة وتطور أهلنا وبلادنا . (والله من وراء القصد).

خامساً : رأي ووجهة نظر:

محائل عسير أهم وأكبر حاضرة في تهامة عسير[١] ، والباحث في تاريخها السياسي والحضاري يجد أنها ذات موقع استراتيجي يتوسط بعض موانئ البحر الأحمر الشرقية مثل: (الليث ، والقنفذة ، والبرك ، والقحمة) وبعض الحواضر الرئيسة في بلاد السراة مثل (النماص، وتنومة ، وأبها وما جاورها) ، كما أنها غنية بمناشطها الحضارية المختلفة [٢] . ومن خلال هذه الدراسة المختصرة نورد العديد من الآراء والخلاصات ووجهات النظر ، وهي على النحو التالي:

١■ يوجد في تهامة جنوبي السعودية مدن ومراكز وحواضر عديدة مثل: محائل عسير ، وبارق والمجاردة ، والمخواة ، والليث ، والقنفذة ، والبرك ، والقحمة ، ورجال ألمع ، وعدد من المدن الجازانية الرئيسة مثل: الشقيق ، والدرب ، وبيش ، وصبيا ، وأبو عريش ، وفيفا وبني مالك، والعارضة ، وأحد المسارحة ، وسامطة ، والطوال ، والخوبة ، وهذه النواحي تتفاوت في مساحتها الجغرافية ، وكثافتها السكانية ، وأدوارها التاريخية والحضارية منذ العصر الجاهلي حتى وقتنا الحاضر، وجميعها جديرة بالبحث والدراسة ، وإن صدر عن بعضها بحوث تاريخية أو أثرية أوحضارية محدودة فذلك لا يكفي[٣] ، ونأمل من جامعات الباحة ، وأم القرى ، والملك خالد ، وجازان أن تستشعر الأهمية الحضارية لهذه البلدان ومن ثم تسعى إلى فتح مراكز وأقسام علمية أكاديمية تدرس آثار وحضارة وتراث هذه الأوطان التهامية[٤] .

٢■ من خلال هذا البحث الموجز عن محائل عسير ، ومما خرجنا به من الدراسة والتجوال في بلدان تهامة الممتدة من مكة المكرمة إلى جازان ، وجدنا أن هناك ميادين ومحاور تستحق البحث والدراسة في هيئة كتب أو رسائل علمية أكاديمية ، ومن تلك المحاور ما يلي:

---

(١) هناك حواضر تهامية عسيرية مثل: بارق ، والمجاردة ، ورجال ألمع لكنها تأتي في المرتبة الثانية بعد محافظة محائل.

(٢) أوردنا بعض التفصيلات المختصرة في هذا المبحث ، ونأمل أن يأتي من طلابنا مستقبلاً من يخرج دراسة علمية تفصيلية أكاديمية تؤرخ لهذه الناحية التهامية العسيرية خلال القرون الثلاثة الهجرية الماضية ، وهي جديرة بذلك.

(٣) الباحث في المكتبة العربية يجد صدور العديد من الكتب والدراسات التاريخية والتراثية والحضارية عن هذه البلدان التهامية ، والمتأمل في كثير من هذه البحوث يجد البعض منها يركز على ناحية أو حقبة زمنية محدودة ، وهناك بحوث سطحية في مادتها العلمية ، وما ندعو إليه هو دراسات علمية أكاديمية تأصيلية .

(٤) هذا النداء واجب علينا ، لأننا تجولنا في جميع أنحاء هذه المدن والحواضر التهامية ، وشاهدنا الكثير من آثارها ومعالمها التاريخية الحضارية ، ومن ثم فهي جديرة بالبحث والدراسة العلمية الرصينة .

أ ــ الأصول السكانية لهذه البلدان ، أنسابها ، وعلاقتها بالأرض ، وبالبلدان المجاورة لها .

ب ــ التاريخ السياسي لهذه الأوطان في فترات ما قبل الإسلام ، أو العصر الإسلامي المبكر والوسيط ، أو في العصر الحديث والمعاصر.

ج ــ التاريخ الاجتماعي عبر العصور التاريخية . (طبقات السكان ، العمارة بأنواعها ، اللباس والزينة ، الطعام والشراب ، الأعراف والعادات والتقاليد ، اللهجات) .

د ــ تاريخ الاقتصاد في العصر الإسلامي المبكر والوسيط ، وفي العصر الحديث والمعاصر. (الجمع والالتقاط ، الصيد ، الزراعة ، الحرف والصناعات التقليدية ، التجارة) .

هـ ــ الحياة العلمية والفكرية والثقافية عبر عصور التاريخ الإسلامي.

و ــ الصلات الحضارية بين هذه البلدان التهامية وبين حواضر اليمن أو الحجاز أو السروات خلال العصر الإسلامي الوسيط ، أو الحديث والمعاصر.

ز ــ علاقات هذه الأوطان التهامية مع تجارة البحر الأحمر عبر العصور التاريخية ، أو مع موانئ وبلدان البحر الأحمر الغربية في عهد ما قبل الإسلام ، أو في صدر الإسلام ، أو خلال العصر الإسلامي الوسيط ، أو في العصر الحديث والمعاصر.

ح ــ الهجرات العربية المتبادلة بين سهول وسواحل البحر الأحمر الشرقية وبين بلدان شرق إفريقيا في العصر الجاهلي ، أو العصور الإسلامية المبكرة أو الوسيطة أو الحديثة والمعاصرة .

٣ـ محائل عسير واسطة العقد بالنسبة لتهائم منطقة عسير ، ومن ثم فهي تستحق جهوداً كبيرة في أبواب البحث والدراسة والتنمية ، ونأمل من جامعة الملك خالد أن تستشعر هذا الأمر فتسارع في تطوير ميادين التعليم العالي في هذه المحافظة ، وهذا مما سوف يؤدي إلى افتتاح جامعة مستقلة فيها ، وإذا تم ذلك فمدينة محائل سوف تكون حاضرة تهامة الرئيسة الممتدة من المخواة شمالاً إلى الدرب والشقيق جنوباً .

٤ـ في أماكن عديدة من حواشي هذا المبحث اقترحنا وطلبنا من طلابنا في برامج الدراسات العليا بقسم التاريخ في جامعة الملك خالد ، وكذلك المؤرخين والباحثين على إجراء بعض البحوث العلمية الأكاديمية عن محافظة محائل عسير. ولازلت أنادي بوجوب الاهتمام بحثياً بمدن وحواضر تهامة الممتدة من جازان جنوباً إلى مكة المكرمة شمالاً . (والله من وراء القصد) .